

موقف الأمير عبد الكريم الخطابي من وثيقة إستقلال المغرب الأقصى

أ.أكرم بوجمعة

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

ملخص

شكلت مباحثات إكس لبيان محطة بالغة الأهمية في تاريخ كفاح الشعب المغربي لاسترجاع حريته واستقلال بلاده، فهذه المباحثات في رأي بعض القادة السياسيين من الذين شاركوا فيها واتبعوا أهم أطرها وتفصيلها من بعيد أو من قريب، لم تكن واقع الأمر سوى مجرد مصيدة (أو فخ سياسي) سقطت فيه قيادات وطنية عن حسن نية أو حسب تحليلات خاطئة ومتسرعة فكان من نتائجها الملموسة في إجهاض الثورة المغربية وهي في طور المخاض وحصول المغرب على استقلال أطلق عليه عدة أطراف سياسية ووطنية عدة أوصاف ونعوت مختلفة من بينها استقلال زائف، استقلال ممنوح وشكلي ومنقوص والى غير ذلك من الأوصاف والنعوت.

الكلمات المفتاحية: الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الإستعمار، وثيقة الإستقلال، المغرب الاقصى، إكس لبيان.

Abstract:

Formed X- Liban talks very important station in the history of the struggle of the Moroccan people to recover their freedom and independence of the country, these discussions in the opinion of some

political leaders who participated in and followed the most important frameworks and details from far away or close, were not a matter of fact only just a trap (or a political trap) Fell the leaders of national good faith or as wrong and hasty analysis was tangible results in abortion Moroccan revolution is in the process of labor and for Morocco's independence dubbed several parties for political and national several descriptions and epithets different from each other false independence, granted and configurable and undiminished independence

Key words: El-Amir Muhammad Ibn 'Abd El-Karim El-Khattabi, colonization, Independence document, Morocco , X- Liban.

مقدمة

إن دواعي انعقاد مباحثات إكس لبيان فتعود أسبابها الجوهرية إلى تقي محمد الخامس 20 أوت 1953 وإصراره على عدم التنازل من شرعيته في الحكم والشروع في الكفاح التحرري تحت مسمى ثورة الملك والشعب التي جعلت من عودة الملك محمد الخامس إلى عرشه واستقلال المغرب شرطا أساسيا تمحور عنه الكفاح المغربي وعبر عنها الثورة بالشعارات التالية: "ابن يوسف الى عرشه والشعب يموت عليه، ابن يوسف أجي غدا والاستقلال لأبدا"، إلى جانب هذه العوامل الداخلية لا تغفل أيضا موقف الفرنسيين الأحرار في كل من المغرب وفرنسا الذين أسسوا جمعيات ونوادي فكرية لتنوير الرأي العام عن حقيقة ما يجري في المغرب، مطالبين بضرورة إيجاد حلول للأزمة المغربية الفرنسية، كما لا يجب إغفال موقف الحكومة الإسبانية من نفي الملك الشرعي بدون إذنها والأخذ برأيها في الموضوع كما تقتضيه الاتفاقية المبرمة بين الدولتين الاستعمارييتين¹.

كما لا ننسى أيضا الدعم العربي والإسلامي الشعوب المغربية ومساندتها في المحافل الدولية، إلا أن ما عجل بعقد مباحثات إكس ليان ودفع بالسلطات الفرنسية إلى ضرورة البحث عن الأزيمة المغربية، قبل استفحال الكفاح المسلح، ونتيجته ما كانت تتخوف فرنسا وقوعه جرى في الميدان بقيام حركة مسلحة أخذت تهدد الوجود الفرنسي بكل أشكاله، كما أخذت تهدد أعوان الاستعمار وعملائه من المغاربة.

أولا: الخطابي ومباحثات إكس ليان

أ/ مباحثات إكس ليان

وتعتبر أهم سبب دفع بالسلطات الفرنسية على ضرورة العمل الجاد مع المغرب الأقصى في إطار مباحثات إكس ليان مع الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر وتنسيق الكفاح المسلح بين حركة التحرر الجزائرية والمغربية والاستعدادات لاندلاع جيش تحرير مغربي يجمع البلدين ودور الخطابي في هذا المجال، هذا شكل صدمة داخل القوات الفرنسية والسلطات الاستعمارية وأدركت كل الإدراك الأبعاد العميقة لهذا التحول وما يشكله من تهديد قوي على مستقبل الوجود الفرنسي بكل أشكاله فبادرت الحكومة الفرنسية إلى فتح حوار مع الملك المنفي على أساس أنه أصبح معادلة قوية وصاحب الحل والعقد في هذه الأزمة، كما فتحت مباحثات مع كل الأطراف المشكلة للرأي العام المغربي وتلك في مدينة (إكس ليان) من 22 إلى 28 أوت 1955 شارك فيها حوالي 37 شخصية من المغاربة والفرنسيين ويهود ذات الصلة بالأزيمة المغربية² ومثل الجانب الوطني قيادات من حزب الاستقلال وحزب الشورى

ولاستقلال مجموعة من الوطنيين ووفد من علماء المغرب، وأفضت هذه المحادثات إلى حلول واقتراحات سياسية لتسوية الأزمة المغربية، وتحكمت في بلورتها والتوافق حولها حسابات سياسية وتنازلات أخذت بعين الاعتبار مصالح الأطراف الحاضرة ومن أهم النقاط المستعجلة التي توافقوا عنها هي:

- تنحية ابن عرفة عن العرش.

- تأليف مجلس وصايته تنبثق عنه الحكومة المغربية تفاوض الحكومة الفرنسية في شأن مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية.

-أبلاغ السلطان محمد بن مضمون هذه الإجراءات للموافقة عليها.

-عودة محمد الخامس إلى فرنسا مع التزامه بعدم قيامه بأي نشاط سياسي.³

ولقد أحدثت هذه الإجراءات خلافات داخل الصف الوطني وفي هذا الصدد يقول عبد الله ابراهيم: " وأخطر ما حدث هو أن البعض من المتحدثين بإسم المغرب المناضل لم يقفوا موقفا القوي المؤمن بطاقات الجماهير المتفجرة ورائه بل وقفوا موقف السياسي بالمعني السياسي للكلمة، موقف من يحاول أن يقسم الخوخة شطرين"⁴.

ب/ موقف الخطابي من مباحثات أكس لبيان

كان من نتيجة مباحثات اكس لبيان أن منحت فرنسا للمغرب استقلاله السياسي، وفق ما نصت عليه اتفاقية اليوم الثاني من شهر مارس 1955⁵، ولم يكن ما حصل عليه المغرب الأقصى لينال رضى الامير عبد الكريم الخطابي حيث صرح قائلا: " في رأي أن المغرب لم يستكمل استقلاله...واني اعتقد أن هذا الاستقلال لا يمكن أن يكون حقيقيا إلا أن يصبح للمغرب كيانه اقتصاديا مستقل، وبعد أن يتم

جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيها وتنتقل الإدارة كلها الى أيادي الأمة "6، إذ جاء إعلان استقلال بطريقة التي تم بها صدمة كبيرة في وجدان الأمير عبد الكريم الخطابي وعده " مناورة من مناورات الاستعمار"7، وعبر عنها أيضا أن التكافل بين البلدين هو ارتباط دائم بفرنسا⁸، وهو أمر يتناقض مع مفهوم الاستقلال الحقيقي الذي دعى إليه الأمير عبد الكريم الخطابي واتفق عليه موقعوا ميثاق الكفاح المسلح المغاربي المشترك وهو تأمر ضد الحرب التحريرية الجزائرية، ولهذا صب الأمير جل غضبه على كل ما ساهم في بلورة هذه المحادثات المزيفة إكس ليان.

وفي السياق ذاته صرح الأمير الخطابي حول مباحثات اكس ليان في الصحف العربية والدولية قائلا: "...إن الشعب الفرنسي ليس في نيته أن يحارب مرة أخرى ليخلق هند صينية جديدة في شمال إفريقيا وقد اقتدت الجماعة الرباط بجماعة تونس المستسلمة فأبرمت اتفاق إكس ليان إلى حيز العمل والتنفيذ، وأخذت تدلس وتغري عرب المغرب بالكلام المعسول، وهي سائرة في نفس الطريق اتفاق تونس، وستطالب المناضلين بإلقاء السلاح بعدما طلبت منهم الهدوء بحجة أن المفاوضات لا تكون إلا في الهدوء، والهدوء لا يكون إلا بإلقاء السلاح وتسليمه لهذه الجماعة (الرباطية) الجالسة على عرشها حين يتفرغ الأعداء على القضاء على الجزائر، وحذر من السقوط في الفخ المنصوب وأنا على يقين من أن الشعب سوف يستمر في الكفاح والنضال إلى أن يخرج من المغرب العربي كله آخر جندي فرنسي يحمل السلاح من جماعة المستعمرين"⁹.

واعتبر الخطابي أن هذه المباحثات إجهاض للعمل الثوري التحرير المغربي ولهذا ظل ناقما على أولئك الذين أجهضوا هذه الثورة في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون في أشد الحاجة إلى الراحة وللتفرغ للقضاء على الجزائر وساعدوا بشكل خفي بإطلاق أيديهم على الثوار في الجزائر¹⁰، وفي انسجام تام مع مبادئه لم يتوانى عن توجيهه أصابع إلى كل من كان في رأيه سببا في النكبات المغربية، وهم أولئك الذين صدقوا "خديعة المستعمر ولم ينالوا إلا الألقاب في غير موضعها لا يرضاها صاحب الضمير والكرامة"¹¹، وعملوا على تحذير إخوانهم المغاربة "بلفظة الاستقلال الموهوم ليتوصلوا إلى بغيتهم المنشودة والترفع على كرسي الحكم والمنصب في البلاد"¹²، ومنه فإن "مأساة اتفاقية إكس لبيان المشؤومة... حطمت آمالنا وقوضت أعمالنا وحكمت علينا بالذل والهوان"¹³، وإن السنوات التي تلت مؤتمر إكس لبيان "كانت كابوسا ثقيلا حملنا النكسات والنكبات"، على حد تعبير الخطابي¹⁴.

ولفهم موقف الخطابي بشكل صريح حول ومباحثات إكس لبيان، يجب علينا أن نضعها في مبدأ التفاوض أصلا مع المستعمر قبل الاستقلال التام للأقطار المغربية، وسبق أن صرح الأمير عبد الكريم الخطابي ونص عليه ميثاق للجنة تحرير المغرب العربي في بنودها "أن لا مفاوضة مع المستعمر في جزئيات ضمن النظام الحاضر" و"مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال"، ولذلك بطبيعة الحال استنكر الأمير ما يحاك ضد المغرب في هذه المحادثات، ولمعرفة موقف الخطابي بدقة، نقل ما أدلى به الخطابي في محادثته مع النائب الفرنسي ونقلتها مجلة الساعة المصرية بتاريخ 24 أبريل 1957، تحت عنوان "تصريحات خطيرة"، مما جاء فيها: "جاءني النائب الفرنسي، على

اثر عودة السلطان من منفاه وأخذ يحدثني عن مفاوضات اكس لبيان...وهي مفاوضات انتهت بإعلان فرنسا بهذا الاستقلال الذي منحتة للمغرب...قلت له - أي الخطابي: أنه استقلال ناقص والموافقة عليه خيانة.

قال النائب الفرنسي ببحث: كيف نعتبر الذين شاركوا في هذه المفاوضات من أجل الاستقلال خونه؟

قلت له: لكي أجيبك عن هذا السؤال، أود أن أسألك بدوري: ماذا كان رأي الفرنسيين وأنت واحد منهم، في المارشال بيتان بسبب مفاوضاته مع الألمان على انهيار فرنسا.

قال النائب الفرنسي بسرعة: خائن.

قلت له: أن المارشال بيتان بطل معركة فيردان، وواحد من أبطال فرنسا القوميين، وكان يحاول أن ينقض فرنسا بمفاوضاته مع الألمان مع ذلك اتهم بالخيانة...ماذا تريدني أن أقول عن المفاوضين المغاربة في إكس لبيان...أنك تجيب بنفسك على هذا السؤال...لم أقل له شيئا أكثر من ذلك - اثر اتهامات النائب الفرنسي التي أدلى بها ضد الأمير أنه اتهم بعض المسؤولين المغاربة بخيانة القضية الوطنية -... وكان من رأيي...أن الدخول مع الفرنسيين يعتبر خيانة وطنية كبرى " .

وهذه التصريحات والبيانات لم تكن لترضي الزعماء والحكام المغرب، فتوترت العلاقات بين الخطابي وزعماء والقادة المغاربة الى درجة القطيعة، كما أغضبت أيضا الجهات الرسمية في المغرب دون أن تجد سبيلا للضغط عليه أو إسكاته، وخلال هذه المرحلة سعى لتوطيد علاقته بالزعماء الجزائريين والتونسيين وبعض فصائل المقاومة

بالمغرب الأقصى وخصوصا منهم رجالات قبائل الريف الذين ضلوا أوفياء له وساهموا مساهمة فعلىة في جيش تحرير المغرب العربي واقتنع منهم كل اقتناع أن معركة هذا الجيش ما هي إلا امتداد للثورة الريفية المجيدة للقضاء على الاحتلال الفرنسي والاسباني¹⁵.

ثانيا: الخطابي واستقلال المغرب

كان موقف زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي من استقلال المغرب كما تمت في 2 مارس 1956 موقفا يتسم بالرفض والاستنكار بما وحتى باتهام بعض المتفاوضين بالخيانة والاستهانة بالكفاح المسلح لشعب المغرب في سبيل تحقيق الاستقلال التام، وقد أعلن موقفه بشكل صريح في العديد من المقابلات الصحفية بالقاهرة وفي بيانات مختلفة وزعت على الصحف والمجلات المغربية والأجنبية وأرسلت الى المسؤولين المغاربة وإلى جامعة الدول العربية¹⁶ وقد أدى هذا الموقف المتسم بنوع من العدائية الى خلق توتر حاد في العلاقات بين الزعيم الريفي والمسؤولين المغاربة والزعماء الوطنيين الذين كافحوا من أجل الاستقلال وفق مبادئ والإيديولوجيات التي يرونها مناسبة لتوجهاتهم.

وكانت المفاوضات حول استقلال المغرب بالنسبة للأمر انتكاسة للمجهودات التي قامت بها " لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة والتي نشاطاتها بإعلان تأسيس جيش تحرير المغرب العربي بداية 5 أكتوبر 1955¹⁷، كما كانت لحظة الكشف عن مدى الاختلاف بينه وبين الزعماء الوطنيين المغاربة الذين انغمروا وانصبوا في التفاوض مع الفرنسيين دون أن يهتموا بالالتزامات التي وقعوا عليها في ميثاق اللجنة.

وفي نهاية الأمر لم يكن محمد بن عبد الكريم الخطابي ينتظر أن تجري الأمور بهذا الشكل وبهذه السرعة في المغرب الأقصى، خاصة وأن الأمور كانت قد بدأت تسير في هذا البلد وفي الجزائر حسب إيديولوجيات الخطابي وقناعاته وأن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد للحصول على الاستقلال التام، وتجربة الأسلوب السياسية أثبتت أنها غير مفيدة في مجاهدة الاستعمار، لذلك اعتبر أن ما جرى في فرنسا بالنسبة للمغرب هو بالضبط ما جرى في تونس، وأن ذلك ليس سوى إجهاض للثورة للمغرب ومؤامرة استعمارية فرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية¹⁸، وبعد أسابيع قليلة على توقيع اتفاقية الاستقلال راسل الامير بتاريخ 30 مارس 1956 مبارك الباكي رئيس أول حكومة ائتلافية جاء في خطابه: "...كان عليكم أن تثوروا على الخونة وتنظموا إلى المجاهدين المغاربة والجزائريين والتونسيين كما يقتضي بذلك الشرف العسكري والكرامة الوطنية وحرمة الرجولة السليمة من الشذوذ... إن المغرب أغرقه الخونة في الاحتلال، وكأن الزمن لم يتعد عن مؤامرة الجزيرة الخضراء سنة 1906م".¹⁹

وأكد في تصريح له في مجلة " آخر الساعة" القاهرية بتاريخ 24 أبريل 1957 الذي جاء فيه: " إن المغرب لم يكتمل استقلاله بعد برغم كل المظاهر... واستقلال المغرب لا يمكن أن يكون حقيقيا إلا بعد أن يصبح للمغرب كيانه الاقتصادي المستقل، وبعد أن يتم جلاء الجيوش الأجنبية من أراضيه وتنتقل الإدارة إلى أيدي الأمة... وأنا أعارض كل محاولة لجر المغرب لربطه الى الأحلاف الغربية التي يسعى الاستعمار لربطه بها في الوقت الحاضر، وفي اعتقادنا أن هذه الأحلاف ما هي إلا

محاولة للإبقاء على النفوذ الأجنبي الغاصب في بلادنا"²⁰، وهكذا أعطى الأمير عبد الكريم الخطابي مفهوم صحيح وتام وشاملا لمعنى الاستقلال، وذلك بتحرير جميع أجهزة الدولة من السيطرة الأجنبية وبجلاء الجيوش الأجنبية في أراضيه.

كما نجد في تحرير آخر لعبد الكريم الخطابي يدلي برأيه حول استقلال المغرب وبقاء جيوش الاحتلال فوق ترابه الوطني وداخل البلاد وسيطرة السلطات الاسبانية والفرنسية على بعض مدنه وحدد موقفه من هذه القضايا قائلا: "إن المغرب لا يمكن أن يعتبر مستقلا إلا إذا انسحب عنه الجيش الفرنسي ولم يبقى بالإدارة المغربية أي أجنبي وأن تعرب كلها، وأن الاستقلال الذي يتوهم المغاربة عنه أنهم مستقلون ليس إلا مخدرا ناولتها فرنسا للمغرب للتفرغ لمحاربة الشعب الجزائري المكافح، أن فرنسا لا تزال تسيطر بقوتها على الصحراء المتممة للمغرب التي لا يمكن للمغرب أن يحيي بدونها... فمن صالح المغرب أن يكافح في سبيل استقلاله الحقيقي ما دام الشعب الجزائري يقلق راحة فرنسا ويجبرها أن تعيش في ذعر وقلق وليس للجزائريين مساعد أو معين إلا الله سبحانه، أن الثورة المغربية جاءت في صدور الأمة حتى إذا آتت أولويات ثمراتها، تزعمها متخرجو المدارس الفرنسية، فأول ما عملوه هو أنهم حمو فرنسا وآخذو يشيدون بمجدها وعظمتها ويصرحون في حق الإسلام والعروبة بما يستفزع الإنسان أن يفوه به. ستعلم يوما الأحزاب السياسية المغربية أنها كانت خاطئة في الانحناء أمام الاستعمار بالمغرب، مع أنها تعلمك أن الشعب المغربي لا يزال يحمل من روح الثورة ما يكفيه لمواجهة رواسب وبقايا الاستعمار في بلاده"²¹ وهكذا نجد ان هناك تناقضات الصارخة بين تصريحات المسؤولين في المغرب بشأن

وحدث الكفاح المسلح من جهة، ومن جهة ثانية وعودهم بدعم الثورة الجزائرية وبين ما يحدث على ارض الواقع .²²

ومع مرور السنوات على تجربة الاستقلال وما رافقها من صراع سياسي على السلطة، واستمرار الوجود العسكري الأجنبي في المغرب أو تحكم الفرنسيين في الإدارة ودواليب الحكم، تأكد لدى الامير عبد الكريم الخطابي أن كل ما كان يجذر منه أصبح واقعا ملموسا ويشهد الواقع على ذلك و"أن الوجود الفرنسي ما زال في بلادنا نصطدم به يوميا بل لحظة بلحظة حيث الإدارات مازالت في يد الفرنسيين واللغة الرسمية في البلاد هي اللغة الفرنسية - لغة الحماية والاحتلال- وجيوش الاحتلال ما زالت تقبع في الشكنات المنتشرة طول البلاد وعرضها " .²³

ظل الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي طوال هذه المدة يندد بجميع تلك الاتفاقيات التي عقدت بين فرنسا والمغرب وينادي بتوحيد الكفاح المسلح في البلدان الثلاثة: (المغرب، الجزائر، تونس) والجلاء الشامل والنهائي لفرنسا عن كامل الغرب العربي الكبير وبذلك سيتحقق الاستقلال التام للجميع²⁴ ومادامت الجزائر لم تستقل بعد ستظل كل من تونس والمغرب مهددة من قبل فرنسا التي اتبعت كل السبل لضرب الوحدة المغاربية والكفاح المغاربي المشترك.

هذه الأفكار والاستنتاجات والإيديولوجيات وكذا التطلعات التي ظلت تعلو في أعماق ووجدان الامير عبد الكريم الخطابي وفكره سيعمل على تجسيدها وبلورتها من خلال دعمه للانتفاضة الشعبية التي اندلعت بالريف في أكتوبر 1958، انتفاضة

اعتبرتها السلطات الحاكمة في المغرب تمردا بينما اعتبرها قيادة هذه الثورة والأمير الخطابي بـ "ثورة الجلاء" وهو ما سنتكلم عنه بشيء من التفصيل في المطلب الموالي.

ثالثا: الخطابي وثورة الجلاء في الريف 1958

تحتل هذه الانتفاضة مكانة بارزة في التاريخ السياسي المغربي المعاصر بأبعادها وتداعياتها وتوجهاتها، وعن هذه الانتفاضة يقول الملك محمد الحسن الثاني: "عرفت بعض الجهات تمردا فكريا إضافة الى قلائل سياسية، فمثلا في الريف الذي كان خاضعا للحماية الاسبانية كان لدى السكان شعورهم بأنهم يعاملون كفتنة مهمشة في المملكة ولم يقبلوا بهيمنة حزب الاستقلال الذي لم يتصرف كما يجب من الحنكة، لذلك عمد شخص اسمه سلام الحاج أمزيان إلى استغلال التزعة القبلية، والقبلية هنا لا أستعملها باستخفاف بل بالعكس ولم يهضم مساعد وفرانكو تصفية الاستعمار بالمغرب فكانوا يوفرون السلاح والزاد للسكان المعتصمين في الجبل، لقد كانت الوضعية قابلة للانزلاق في المتاهات" ²⁵.

ولهذا نجد أن الأمير حاول تجسيد تطلعاته من خلال دعمه للانتفاضة الشعبية التي اندلعت بالريف في شهر أكتوبر 1958 التي اعتبرتها السلطة المغربية تمردا واعتبرها الخطابي وقيادات الثورة بـ "ثورة الجلاء"، واعتبرها حسن الثاني تمردا فكريا كما بين سابقا، وقال عنها مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور "كانت منطقة الخطر تمتد من قبيلة بني ورياغل التي تزعم الحركة فيها شاب مسمى محمد السالم الحاج أمزيان إلى قبيلة بني وراين بوسط إقليم "نازة" التي تزعم حركتها قائد سابق يسمى محمد بن خدوم، وأخذت حركة العصيان تمتد حتى شملت قبائل تاونت شمال فاس

وقبائل بولمان القرية من نهر ملوية وأصبحت المواصلات بين شرق المغرب وغربه مهددة بالانقطاع... " وكتب عنها زعيم الانتفاضة محمد سلام أمزيان قائلا : " هي انتفاضة شعبية معادية للاحتلال الأجنبي وحلفائه، تحولت إلى ثورة شعبية... قام بها رجال وزملاء وإخوان وتلامذة الأمير عبد الكريم الخطابي في بني ورياغل مسقط رأسه... كان في شرف رئاستها برغبة المجاهدين...²⁶ ".

أرجعت بعض الأسباب اندلاعها الى عوامل سياسية و"اقتصادية في أن واحد، ذلك أن استقلال المغرب بات نتيجة كفاح الريفيين، لكن الاستقلال استغل من طرف الطبقة البرجوازية الذين هم من أصل فاسي، وأن حزب الاستقلال قد غزى قراهم ومدنهم، أما السبب الإقتصادي فتمثل في تفاقم الثورة الجزائرية التي أجبرت فرنسا على غلق الحدود الجزائرية في وجه حوالي 60 ألف مغربي كانوا يشتغلون في حصد الغلال والحبوب على التراب الجزائري وأغلبهم من منقطة الريف. وتضيف نفس المصادر أن الحركة كانت تضع في مقدمة برامجها دعوة الأمير عبد الكريم الخطابي الذي كان يشترط إجلاء آخر جندي أجنبي عن المغرب. ونجد أن الحركة أيضا متأثرة بدعاية المصريين الموجودين باسبانيا وتبذ سياسة الناصرية (جمال عبد الناصر)، وتطالب بطرد جميع الفنين والخبراء الفرنسيين، وهي على اتصال وثيق بالثوار الجزائريين في إيوائهم وتقاسم معهم الأسلحة التي تأتي عن طريق البحر بمنطقة الناظور.²⁷

فقد أصدرت قيادة الانتفاضة "ميثاقه الثوري" يوم 7 أكتوبر 1958 تضمن مطالبها الأساسية فكان أهمها:

- جلاء القوات الأجنبية عن الوطن دون قيد أو شرط لأن وجودها مناف لمعنى الحرية والاستقلال.

- عودة الأمير الخطابي وأسرتة إلى وطنه الذي ضحى في سبيله.

- حل الأحزاب السياسية والعمل على إنشاء اتحاد وطني.

- إطلاق سراح المعتقلين والسياسيين والمختطفين.

- إسقاط الحكومة الحالية واستبدالها بحكومة شعبية.

تترجم هذه المطالب بكل وضوح وشفافية، آمال الخطابي وزعماء هته الثورة لا يخفون دعم الخطابي لهم ومساندته الفعلية لحركتهم، ولذلك قام الخطابي بتوجيه رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ 1958/10/7 يشرح له فيها توجهت هته الثورة وإبعادها، ومما ورد في هذه الرسالة: "لقد اندلعت الآن مرة أخرى ثورة شعبية بزعماء القائد محمد أمزيان ليست ضد الإستعمار فحسب بل ضد عملائه أيضا في الدرجة الأولى، وأهداف هاتيه الثورة الحاضرة التي ستؤدي أغراضها بإذن الله إن نالت التأييد من قادة الحرية القومية العربية هي:

— إجلاء القوات الأجنبية في القطر المغربي جلاء تاما وناجزا.

— إعادة تطبيق الإستراتيجية التحررية بفتح جبهة القتال ضد قوات الاحتلال

في المغرب من أجل تحرير تونس والجزائر.

— القضاء على النظام المتعفن الذي مسخ التاريخ والوجود²⁸."

ويختتم الخطابي رسالته للرئيس قائلا "ولا شك عندي في أن لدى سيادتكم حلول ومقترحات لمعالجة هذا الوضع، كما لا شك عندي أيضا أن الآمال مغلقة عن سيادتكم شخصيا بقيادة الشعب العربي إلى شاطئ الآمال"²⁹.

كما قام عبد الكريم الخطابي بتبادل مع بعض الشخصيات الوطنية المغربية بعدة تقارير ورسائل، جاء في التقرير الأول الذي أرسله إلى السيد الغالي الطود من مدريد بتاريخ 2 أبريل 1959 أن الريفيين في ثورتهم كانوا يطالبون " بالاستقلال الكامل وذلك بجلاء آخر جندي عن وطننا ومساعد الجزائريين في طرد الفرنسيين... والتنظيم بين الصفوف يدعو إلى العجاف ولكنهم بحاجة إلى سلاح الريفيين إذا ما وضعوا أيديهم على السلاح. فالنهاية الرهيبة لكل الأعداء"³⁰، أما التقرير الثاني الذي وصل الخطابي من الأمين العام للحزب الشورى والاستقلالي محمد حسن الوزاني بتقرير من جينيف بتاريخ 2 فيفري 1959 حول الأوضاع السياسية بالمغرب جاء فيه: "...لقد تأملت أشد الألم بما علمته من رسالتكم حول الوحشية المرتكبة ضد أحرار الريف من طرف القوات المضادة، تحت قيادة الفرنسيين، ويجب أن نفصح تلك الوحشية بكل تفاصيلها وفضاعتها في الداخل والخارج لأنها مجهولة الى حد الآن... الصحف الفرنسية الباريسية في الأسبوع الأخير كتبت بصريح العبارة أن حكومة الرباط استخدمت رسميا قوات الاحتلال واستنجدت بالجيش الفرنسي وأن الطائرات التي دمرت ما دمرته في جهة الحسيمة كانت بقيادة الفرنسيين تحت يدي القصاصات التي ذكرت ذلك مما يؤكد ما ورد في رسالتكم واأسفاه".

وعمل الخطابي في الوقت ذاته على توثيق الصلة بالقيادة الثورة المصرية في محاولة إقناعها بضرورة مساندة الحركة الريفية ذات التوجهات التحريرية والتي في نظر الخطابي: "...ستمتد لتشمل جميع أنحاء المغرب، وأن السلطات الاسبانية تؤيدها لرغبتها في القضاء على الاستعمار الفرنسي الذي يحاول إقصائها ليحل محلها، وانه هو وأسرته على اتصال بمسؤولين إسبان لإمداد الثوار بمعونة عاجلة نظرا لقلّة المعونة التي تصل الثوار عن طريق اسبانيا"³¹، وهكذا نلاحظ أن الانتفاضة ارتبطت ارتباطا وثيقا ببطل الثورة الريفية الخطابي ومساندته ودعمه لها وتدخل بذلك جهات اسبانية ومصرية لدعم هذه الحركة.

ورغم دعم الثورة الريفية وتحقيق بعض أهدافها إلا أنها قمعت قمعا عنيفا من طرف القوات المشتركة الفرنسية والمغربية، فقد قرر خلالها الامير حسن رئيس أركان الحرب للجيش الملكي نقل قيادة عملياته ضد العصاة إلى فاس³²، وتطوان³³، حيث استعملت فيها مختلف الأسلحة البرية والبحرية والجوية وقتل فيها الريفيون بالآلاف وشرد الكثيرون، وسيقوا إلى السجون نظرا لأهدافها من جهة وارتباطها بعبد الكريم الخطابي وجهات مصرية واسبانية من جهة أخرى. وظلت منطقة الريف العسكرية محاصرة إلى غاية سنة 1962 حين منع بها كل شيء من سياسة وصحافة، وأن عدد ضحايا هذه الثورة بلغ ما يقارب 8000 قتيل وآلاف الجرحى. كما فقد فيها قائد الثورة محمد أمزيان سلام إبنته الصغيرة "نعيمه" عند داستها خيالة المخزن فبقرت بطنها واستشهدت في الحال³⁴ وتذكر مصادر أن حكومة "الجنّاح اليساري" لحزب الاستقلال بقيادة عبد الله إبراهيم التي شكلت اللجان عملت على قمع وسحق

انتفاضة الريف، ففي 9 جانفي 1959 وصل الأمير الحسن ولي العهد قائد القوات المسلحة الملكية رفقة الجنرال "أوفقيير" إلى مدينة تيطوان بجيش قوامه 20 ألف مقاتل تم إنزالهم على سواحل الريف وأثناء ذلك أعطي السلطان محمد الخامس مهلة 48 ساعة³⁵ للشوار المعتصمين في الجبال، إلا أنهم رفضوا الاستجابة لمطالب الملك³⁶ وتعرض ولي العهد الأمير مولاي حسن أثناء هجومه على منطقة الريف لطلقات نارية من طرف الثوار الذين كانوا يحاصرون المطار بالجسيمة وإرغامها على التزول الاضطراري على إثر عطبها³⁷.

وبانتهاء الثورة الريفية بدأت بوادر التفكك في حزب الاستقلال الذي كان يشكل المعادلة الثنائية مع الملكية منذ الاستقلال أي كان المسيطر على الساحة المغربية بعد الاستقلال نظام المخزن وحزب الاستقلال الذي كان يشكل المعادلة الثنائية في السلطة مع المملكة منذ الاستقلال ودخول في صراع مع بعضهم البعض على السلطة والحكم في المغرب الأقصى، بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية (U.N.F.P) بقيادة المهدي بن بركة وعبد الله إبراهيم وعبد الرحيم بوعبيد، ومحمد البصري والمحجوب بن الصديق أصحاب التوجه للرأي الراديكالي³⁸.

بعد هذه الأحداث الخطيرة التي واجهت النظام المغربي وحكومته وسلطاته وما أسفرت عنه من مساس بسمعة البلاد ووطنيا وعربيا ودوليا، رأي الملك محمد الخامس أن يزور المشرق العربي فرصة ليزور جمال عبد الناصر ولكي يلتقي بابن عبد الكريم الخطابي الذي يشكل تهديدا مستمرا على النظام المغربي وتمت المقابلة مع الخطابي بقصر القبة بالقاهرة يوم 13 جانفي 1960 حينها قدم الأمير رسالة للملك بمضمون

قومي منها مطالبته بإجلاء القوات الأجنبية عن المغرب وتأييد الدعم الجزائري مع حصولها على استقلالها التام.

خاتمة :

ومنه نجد أن الأمير عبد الكريم الخطابي كان يرى أن مباحثات إكس لبيان هي مصيدة وقعت فيها السلطات المغربية، كان من نتائجها إجهاض ثورة جيش تحرير المغرب العربي، وقد وصف الأمير هذا الاستقلال الممنوح على أثر مباحثات إكس لبيان بالاستقلال الأعرج أو المنقوص أو الشكلي، وأكد في نداءات عديدة على انه خيانة لما تعاهدوا عليه في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، لكن هذا لم يثني من عزيمة الكفاح والعمل على مغربة الحرب، وضلت هذه الأفكار تغلي في وجدان الأمير وفكره وسيعمل على تجسيدها فيما بعد من خلال الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في الريف في أكتوبر 1958، التي تسمى بمقاومة الريف الثانية أو مقاومة الجلاء.

الهوامش:

¹ محمد بن عزوز حكيم، "موقف شمال المغرب من الاعتداء على العرش يوم 20 غشت 1953، ج1، تحديد بيعة الشمال للملك محمد الخامس، مطابع الشويخ، 1994، ص 168.

² زكي مبارك، "موقف محمد بن عبد الكريم وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان"، مجلة وجهة النظر، العدد 40، 41، 2009، السنة الحادية عشر، الرباط، المغرب، ص 20.

³ وردت هذه التعليمات في الرسالة التي وجهتها الحكومة الفرنسية الى السيد كاترو Catroux التي كلفت بإجراء مباحثات أولية مع الملك محمد الخامس في منفاه، في جزيرة مدغشقر، ينظر: زكي مبارك، "أزمات المغرب الحاضر كما حذر منها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي"، ط1، الندوة الدولية المنظمة بالحسيمة حول "لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية"، بتاريخ 28 و29 جويلية 2004، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة فيدابرانت، الرباط، المغرب، 2004، ص 162.

⁴ عبد الله ابراهيم، أوراق في ساحة النضال، ط 1، دار الكتب، دار البيضاء، المغرب، 1975، ص 244.

⁵ " les entretiens Franco- Marocains d' Aix –les – Bains (22-25 Aout 1955) ; les procès – verbaux, in dossiers de l'histoire du maroca (D. H. M) N 1 Juin 1966, p 2 -6.

⁶ حديث نشرته مجلة " آخر الساعة"، بتاريخ 24 / 04 / 1957.

⁷ حديث نشرته صحيفة " التحرير " المصرية، ينظر: محمد أمزيان، محمد عبد الكريم الخطابي أراء ومواقف 1926 – 1963، ط1، منشورات "اختلاف" مطبعة كوثر، الرباط، المغرب، 2002، ص 192.

⁸ نفسه.

⁹ نص بيان أورده، طاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830- 1956، ط2، دار المعارف لطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1975، ص 137 – 138.

- ¹⁰ محمد الاممي، " عند البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي "، ط 2، مجلة الأمل المغربية، العدد 8، 1999، ص 157.
- ¹¹ بيان نشرته " صوت الشعب " صحيفة مصرية، 6 / 8 / 1956.
- ¹² المرجع نفسه.
- ¹³ رسالة من الامير الى الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، بتاريخ 11/10/1960، مجموعة وثائق أمزيان، ينظر: محمد أمزيان، محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 194.
- ¹⁴ المرجع نفسه.
- ¹⁵ زكي مبارك، "موقف محمد بن عبد الكريم وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان"، المرجع السابق، ص 21.
- ¹⁶ مجلة " آخر ساعة "، المصرية بتاريخ 24 أفريل 1957.
- ¹⁷ علال الفاسي نداء القاهرة، ط1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1959، ص 91.
- ¹⁸ عثمان بناني، "محمد بن عبد الكريم ومسألة إستقلال المغرب"، مجلة الأمل، العدد 8، السنة الثالثة، تصدر ثلاثة مرات في السنة، دار البيضاء، المغرب، 1996، ص ص 145 - 146.
- ¹⁹ زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب، ط1، منشورات فيديرانت، الرباط، المغرب، 2003، ص ص 37-38.
- ²⁰ عثمان بناني، المرجع السابق، ص 150.
- ²¹ جدل حول الأوضاع في المغرب سنة 1957، لقاء بين التهامي الوزاني بمحمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة، يونيو 1957، نشرته المجلة " المغربية " السنة الأولى، العدد 7، 1992، ص 3 - 10.
- ²² - A.N.A , GPRA, B6, DOS12.
- ²³ نداء إلى الشعب المغربي، بتاريخ 7 نوفمبر 1960، مجموعة وثائق أمزيان، ينظر: محمد أمزيان، محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 193.
- ²⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 236، 237.

²⁵ عبد الوهاب بن منصور، الحسن الثاني حياته وجهاده ومنجزاته، ج1، ط1، المطبعة الملكية، د. ت، ص 220.

²⁶ زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 40، 41.

²⁷ أوردت دالك " الديلي تلغراف " البريطانية بتاريخ 10 فيفري 1959، ينظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا 1954-1975، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ابن يوسف بن خده، الجزائر، 2009، ص 194.

²⁸ حصرها فتحي الديب في سبعة مطالب بعد اللقاء الذي أجراه مع الأمير عبد الكريم الخطابي، بتاريخ 8 فيفري 1958، ومن المطالب التي أضافها الديب مثلا تعريب الوظائف واعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية مع تعريب التعليم بكافة أنحاء مراكش، والعمل على إصلاح الوضع الاقتصادي، وإطلاق الحريات للصحافة والرأي العام... إلخ، ينظر: فتحي الديب، المصدر السابق، ص 419، سعيد العمراني، انتفاضة 59/58 بالريف كما رواها لي أبي، ط1، مطبعة سليكي أخوين، طنجة، المغرب، 2014، ص 64.

²⁹ زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 42.

³⁰ ورد نص التقرير في مذكرة محمد سلام أمزيان. ينظر: زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع نفسه، ص 42.

³¹ فتحي الديب، جمال عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط3، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، 1984، ص ص 419-420.

³² محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 195.

³³ عبد الرحيم الوردغي، خفايا السرية في المغرب المستقل 1956 - 1961، ط1، دار البيضاء، المغرب، 1982، ص 167.

³⁴ محمد القجيري، "جيش التحرير المغربي وأحرار الريف، ضحايا القصر ومليشيات حزب الاستقلال"، الحلقة الثانية، جريدة الأخبار، الجزائر، العدد 23 جوان 2005.

³⁵ محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 196.

²⁶ محمد القجيري، جريدة الأخبار، المرجع السابق، العدد 23/6/2005.

³⁷ زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص ص 42-43.

³⁸ وإلى جانب هذه الأهداف التي سطرها الحزب، عمد إلى أهداف أخرى في المجالات الثورية الوطنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، مثل مساعدة الشعب الجزائري المكافح من أجل التحرر والعمل على تحقيق وحدة المغرب العربي والتضامن الإفريقي. ينظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 197.